المجلة المغاربية للدراسات التاريخية والاجتماعية – جامعـة سيدي بلـعباس
ISNN : 2170-0060 EISSN : 2602-523X
المجلـد 14 -- العدد 02 -- ديسمبر 2022 ص 140 - 159

مقومات الحفاظ على هوية المجتمع الجزائري أثناء فترة الاحتلال الفرنسي في أدبيات فكر عبد الحميد ابن باديس

the preserving elements of the of Algerian society identity during the French colonisatin period in Abdul Hamid Ibn Badis literature thought

ط. د فرج سعيد (feredj.said@univ-medea.dz)	تاريخ المغرب العربي الحديث	جامعة يحي فارس - المدية/الجزائر

DOI :

الإرسال: 2022/10/10 **القبول**: 2022/11/07 **النشر**: 2022/12/22

ملخص:

عملت سلطات الاحتلال الفرنسي منذ أن وطئت أقدامها أرض الجزائر على انتهاج مختلف الأساليب والطرق لضمان بقائها في الجزائر أطول فترة ممكنة، ولما كانت مقومات ومرتكزات هوية الأمة الجزائرية من أكبر المخاطر التي تهدد وجودها عملت على طمسها وسعت جاهدةً للقضاء عليها، هذا ما دفع عبد الحميد ابن باديس لتكثيف جهوده في سبيل الحفاظ على هذه المقومات بين أفراد المجتمع الجزائري وتعزيز وجودها وحضورها فيها والمتمثلة أساساً في الدين الإسلامي، اللغة العربية، وفكرة الوطنية أو الانتماء للأرض الجزائرية.

كلمات مفتاحية: الهوية؛ المجتمع الجزائري؛ عبد الحميد ابن باديس.

Abstract:

In Since the French colonisation authorities put his foot on Algeria land, they worked to adopt numerous styles and methods to ensure their survival in Algeria as long as possible, and where the Algerian society identity components and foundations were the greatest dangers which threatening its existence. They worked to obliterate it and strive hard to eliminate it, this is what prompted Abdel Hamid Ibn Badis to intensify his efforts to preserve these components between the Algerian society members and to enhance its existence and its presence in it, which are mainly represented by the Islamic religion the Arabic languqge, and the belonging to the Algerian land.

Keywords : Identity; Algerian society; Abdel Hamid Ibn Badis.

مقدمة:

تعتبر الأمة الجزائرية من الأمم الأصيلة التي تعبر عناصر ومقومات هويتها بصدق عن جذورها التاريخية وامتدادها الحضاري، وقد ظل المجتمع الجزائري محافظاً على هويته رغم كل التحديات التي تعرض لها طيلة الحملات الأوروبية التي استهدفته أثناء الفترة العصر الحديث، إلا أنه خلال سنة 1830م عرف المجتمع الجزائري حدثاً مهماً كان من أكبر التحديات التي شكلت خطراً كبيراً على هويته ألا وهو الاحتلال الفرنسي للجزائر، هذا الاحتلال الذي كان طموحه أكبر من الاستيلاء على الأرض الجزائرية وخيراتها، حيث عمل بكل الوسائل والطرق لأجل محو كل معالم ومقومات هوية المجتمع الجزائري بهدف إلحاقه بالمجال الفرنسي دينياً ولغوياً وجغرافياً لضمان بقائه أكبر فترة ممكنة في الجزائر .

استهدف الاحتلال الفرنسي أثناء تواجده بالجزائر الدين الإسلامي محاولاً القضاء عليه في نفوس الجزائريين وإحلال الدين المسيحي بدله، وكل ذلك من أجل القضاء على هذا العنصر الهوياتي الرئيسي الذي كان عاملاً يرفض وجوده على أرض الجزائر باسم الجهاد في سبيل الله ودفاعا عن الوطن الذي يضمن له ممارسته دينه في أمن وآمان، فنتهج مختلف الأساليب الإغرائية والهمجية للقضاء عليه، كما سعى لمحاربة عنصر اللغة العربية الذي يشكل أيضا عنصراً مهماً من عناصر هوية المجتمع الجزائري باعتبار أن اللغة العربية لغة القرآن والدين الإسلامي، وتعبر عن الامتداد الحضاري العربي للمجتمع الجزائري وذلك عن طريق محاصرة اللغة العربية والعمل على نشر اللغة الفرنسية في أوسع نطاق، كما حاول المحتل الفرنسي القضاء على فكرة الوطن الجزائري والانتماء للأرض في نفوس أفراد المجتمع الجزائري بالسعي لغرس فكرة "المقاطعة الجزائرية التابعة لفرنسا" والجزء الذي لا يمكن أن يتجزأ عن الأرض الفرنسية الأم .

ورغم كل هذه المخططات الماكرة التي انتهجتها سلطات المحتل الفرنسي لأجل القضاء على هوية المجتمع الجزائري ظَّل هذا الأخير محافظاً على هويته، متشبثاً بمقومات شخصيته المتمثلة في الدين الإسلامي، واللغة العربية لغة الدين الإسلامي، وفكرة الوطن الجزائري والشعور بالانتماء للأرض، كان في طليعة من بذلوا جهوداً كبيرة في سبيل الحفاظ على هوية المجتمع الجزائري العلامة عبد الحميد ابن باديس الذي انتهج أسلوباً موازياً ضد

مخططات الاحتلال الفرنسي لأجل الحفاظ على هوية المجتمع الجزائري، وذلك من خلال الدعوة للحفاظ على الدين الإسلامي وحماية وجوده في نفوس الجزائريين وتعزيز فاعليته في حياتهم، وبالحرص على تعليم اللغة العربية التي تربطهم بانتمائهم الحضاري العربي وتبعدهم عن الأمة الفرنسية، وبالسعي لنشر فكرة ومبدأ حب الوطن وخدمته بين الجزائريين بهدف دحض فكرة المقاطع الجزائرية التابع لفرنسا.

انطلاقا مما سبق ذكره سنحاول في بحثنا هذا التطرق لمقومات الحفاظ على هوية المجتمع الجزائري أثناء فترة الاحتلال الفرنسي في أدبيات فكر عبد الحميد ابن باديس وذلك من خلال تقسيم بحثنا إلى ثلاثة عناصر هي نفسها أهم مقومات الهوية لدى المجتمع الجزائري وهي:

1 - الحفاظ وتعزيز الانتماء للدين الإسلامي

2- الحفاظ على مكانة اللغة العربية في المجتمع الجزائري

3- تعزيز فكرة الوطنية والانتماء للأرض .

1 – الحفاظ على الدين الإسلامي بين أفراد المجتمع الجزائري وتعزيز وجوده بينهم

يعتبر الدين من العوامل الرئيسية التي تشكل هوية أي مجتمع من المجتمعات، حيث نجد أن أغلب إن لم نقل كل المجتمعات والحضارات التي قامت منذ القِدَمْ كان فيها عنصر الدين أهم ملامح هوية تلك المجتمعات وأهم رمز من رموز حضارتها، قد تتعدد هذه المعتقدات والأفكار الدينية من مجتمع لآخر إلا أنها تشترك في ميزة واحدة وهي أن هذا الدين يعتبر مكون رئيسي لهوية ذلك المجتمع، ونظراً لأهمية هذا العامل الهوياتي ذهب بعض الباحثين والمفكرين لاعتبار الدين من العوامل الرئيسية التي تُبنى عليها الحضارات، منهم مالك ابن نبي الذي خَصَصَ حيزاً في كتابه شروط النهضة للحديث عن أثر الفكرة الدينية في تكوين الحضارة وذكراً بأن الفكرة الدينية تَبْنِي الإنسان العاقل المهذب روحياً والذي يستطيع استخدام عقله لبناء حضارته (نبي، 1986، ص ص 61 62) والمجتمع الجزائري كغيره من المجتمعات كان الدين الإسلامي فيه من أهم المقومات الرئيسية في هويته منذ مجيء الفاتحين العرب إلى منطقة شمال إفريقيا، حيث اعتنقت فئات المجتمع

الجزائري الدين الإسلامي وأصبحت من أكبر المدافعين عنه لما فيه من نور الحق ومبادئ الإنسانية السمحة .

ظَّل الدين الإسلامي يمثل رمز لهوية المجتمع الجزائري وما من مجال من مجلات الحياة إلا ونجد تأثيره حاضراً سواء في المجال السياسي، العسكري، الثقافي، الاقتصادي، الفن المعماري...الخ باعتبار الدين الإسلامي دين متكامل يضمن الرقي للفرد المسلم في مختلف مجالات الحياة، وصالح لمختلف الأزمان، وظَّل هذا الدين مُستهدفاً في المجتمع الجزائري من قبل الأمم الأوروبية طيلة تواجده في هذه المنطقة وخاصة الفترة الحديثة، إلا أن سنة 1830م حملت مستجدات للمجتمع الجزائري تمثلت في وقوعه تحت سيطرة الاحتلال الفرنسي، وبعد الاحتلال أصبحت فرنسا تفكر في أنجع السبل لضمان بقائها أطول فترة فيها، فرأت أن الدين الإسلامي يمثل إحدى أهم مقومات الهوية الجزائرية لذلك كان لزاماً عليها لتجنب ظهور مقاومة ضد وجودها في لرض الجزائر أن تعمل على محاصرة الدين الإسلامي والسعي للقضاء عليه بهدف القضاء على هذا العامل الذي يبث روح الهوية ورفض الآخر في صفوف المجتمع الجزائري .

اتخذت سلطات الاحتلال الفرنسي العديد من الوسائل للقضاء على الدين الإسلامي منذ أن وطئت أقدامها أرض الجزائر ضاربين بذلك بنود معاهدة الاستسلام الموقعة في 5جويلة 1830م التي تنص على احترام الدين الإسلامي ومعابده عرض الحائط حيث قاموا جنباً إلى جنب العسكريين ورجال الدين بهدم المساجد وتحويلها إلى مستشفيات وإسطبلات ومخازن، وحولوا العديد منها إلى كنائس، وصادروا الأوقاف وقطعوا عن المؤسسات الدينية موردها الرئيسي وهو الوقف، وانتهجوا سياسة تهدف للقضاء على التعليم الإسلامي والقضاء الإسلامي، في مقابل ذلك عملوا على نشر أماكن الخمارات وأماكن الفساد (القاسم، 1998، ص ص 106 107) كل هذا من أجل إبعاد المجتمع الجزائري عن دينه ورمز هويته الذي يحثه على مكارم الأخلاق، ويحثه على الحفاظ على هويته ورفض كل ما يبعده عن دينه، وبعد أن يتحقق لها فصل المجتمع الجزائري عن هذا العنصر المهم من هويته يسهل عليها استقطابه للثقافة الفرنسية والدين المسيحي وهذا ما يجعله مجتمع يقبل الاندماج مع فرنسا دون أي مقاومة ثقافية أو أي مقاومة في أي مجال آخر .

كان الهدف الأول لسلطات الاحتلال الفرنسي من محاولة القضاء على الدين الإسلامي في وسط المجتمع الجزائري هو طمس هويته الدينية وعزله عن محيطه الحضاري الإسلامي، والهدف الأساسي الثاني هو أنها أدركت أن الدين الإسلامي هو العامل الذي ألف وجمع بين مختلف العناصر الاجتماعية في المجتمع الجزائري سواءً أكانوا عرباً أم أمازيغ أم أتراك أم أندلسيين وحتى العجم كلهم انصهروا في بوتقة واحدة، وأبعد عنهم بل وحذرهم من النعرات الجاهلية والدعوات القبلية العصبية (البشير، 2016، ص 107) لذلك رأت سلطات المحتل الفرنسي أنها بالقضاء على هذا العامل الذي يجمعهم تستطيع بث الفرقة والاختلاف بينهم وبالتالي تتخلص من الموقف الموحد ضدها وتتلاشى جهودهم في قضايا هامشية مرتبطة بصراعات إيديولوجية لا تمت لأصالة المجتمع الجزائري بصلة ولا تزيدهم إلا ضعفاً وفرقةً .

لقد عملت سلطات الاحتلال الفرنسي جاهدةً في سبيل نشر المسيحية أو ما يعرف بسياسة التنصير وذلك من أجل استقطاب المجتمع الجزائري للحضارة الفرنسية بزعمهم فنتهجت العديد من الوسائل في سبيل ذلك ومن مظاهر هذه السياسة الدينية أنها احتفلت سنة 1938م بمرور قرن من إنشاء الأسقفية الكاثوليكية في الجزائر، ورغم كل ذلك بقي الجزائريين محافظين على دينهم رمز هويتهم وعزهم، رافضين إرسال أبنائهم إلى المدارس الفرنسية خوفاً عليهم من التنصير (القاسم، تاريخ الجزائر الثقافي، ج 6، 1998، ص- ص 137- 139) وبدأت في تلك الفترة تظهر بعض الدعوات التي تحث المجتمع الجزائري على للحفاظ على دينه الإسلامي حفاظاً على هويته كان من بين هؤلاء العلامة الشيخ عبد الحميد ابن باديس .

لقد ساهم تكوين عبد الحميد ابن باديس العلمي وكذا بيئته التي نشأ فيها في امتلاكه نظرة استشرافية لمستقبل الأمة الجزائرية، كان من بين مرتكزات هذه النظرة ضرورة الحفاظ على الهوية الدينية للمجتمع الجزائري وتعزيزها بهدف الوقوف أمام السياسة الدينية الفرنسية الهادفة لتنصير المجتمع الجزائري، كان حسبه أول وأهم ما يجب القيام به هو إصلاح الدين الإسلامي وتعزيز حضوره في وسط المجتمع الجزائري .

أدرك عبد الحميد ابن باديس أهمية الدين الإسلامي في الحفاظ على هوية المجتمع الجزائري لذلك عمل على إصلاح العقيدة الإسلامية وتطهيرها من الأمور البدعية وذلك بالرجوع إلى المنابع الأولى للإسلام المتمثلة في الكتاب والسنة وما كان عليه سلف الأمة، وحسبه لما كان المجتمع الجزائري شعباً مسلماً يخضع لحكم الإدارة الفرنسية كجزء من مستعمراتها وجب الحفاظ على الدين الإسلامي من أجل الحفاظ على مقومات المجتمع لأن الدين قوة لا يستهان بها ولا يمكن للناس الاستغناء عنها (الجزار، 1999، 66) .

عمل عبد الحميد ابن باديس في مختلف المناسبات والأماكن التي تجمعه مع أفراد المجتمع الجزائري على الدعوة للتمسك بالدين الإسلامي وتعزيز وجوده بينهم حيث يقول في إحدى خطاباته " نحن قوم مسلمون جزائريون ... فلأننا مسلمون نعمل على المحافظة على تقاليد ديننا التي تدعو إلى كل كمال إنساني ونحرص على الأخوة والسلام بين شعوب البشر" وفي موضع آخر يقول: "الدين قواما لنا، وملجأ شرعياً لسلوكنا، ونظاما محكما نعمل عليه في حياتنا، وقوة معنوية نلتجئ إليها في تهذيب أخلاقنا وقتل روح الإغارة والفساد منها" (الميلي، 2007، ص ص 159 160) ويشير ابن باديس إلى أهمية الدين في الحفاظ على الذات والهوية الجزائرية ويبين أهميتها في حياة الجزائريين لأنه يدرك يقيناً أن الجزائريين إذا تمسكوا بدينهم وعرفوه جيداً وعرفوا أهميته في حياتهم، وسيكون لهم صمام أمان من الذوبان في الشخصية الفرنسية، وسيجعلهم قادرين على الصمود أمام مختلف التيارات الدينية التي تستهدف محو شخصيتهم .

انتهج عبد الحميد ابن باديس في سبيل تحقيق هدفه من خلال دعوة الجزائريين للحفاظ على الدين وتعزيز وجوده العديد من الوسائل والطرق كان من بينها الصحف والمجلات التي كان ينشر بها أفكاره، وإنشاء المدارس والاهتمام بالتعليم العربي الإسلامي وأهم نشاط قام به في هذا الميدان تأسيس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين في 5ماي 1931م رفقة الشيخ البشير الإبراهيمي ومن سار في نفس توجههم الفكري الإصلاحي، وقد تم إنشاؤها عقب احتفال الفرنسيين بمرور مائة سنة من احتلال الجزائر كإشارة منهم على أن الأمة الجزائرية لم يعد لها وجود وأن كل مقوماتها قد تلاشت بما فيها الدين الإسلامي .

لقد كان الهدف الرئيسي من تأسيس عبد الحميد ابن باديس ورفاقه لجمعية العلماء المسلمين الحفاظ على الدين الإسلامي في نفوس الجزائريين، وقد صرحت الجمعية بذلك عند إعلانها وهذا ما ورد في مجلة الشهاب العدد الصادر في ماي 1934م "إن هدف الجمعية يتمثل في إصلاح الشعب الجزائري العربي من الوجهة الدينية، والوطنية، والأدبية والعلمية" أما خير الدين وهو من بين المؤسسين للجمعية فقد ذكر أن الهدف الرئيسي من الجمعية بقوله " إن أهداف جمعية العلماء تتمثل في إحياء الإسلام بإحياء الكتاب والسنة وإحياء اللغة العربية وآدابها، وإحياء التاريخ الإسلامي وآثار رجاله المخلصين (البشير، 2016، ص 105) ويرجع السبب الرئيسي لإعلانها وتصريحها بأن هدفها ديني وأنها بعيدة عن الخوض في المسائل السياسية كسب موافقة سلطات الاحتلال الفرنسي لتأسيسها والسماح لها بممارسة مختلف نشاطاتها الدينية والثقافية، وفعلاً استطاعت بفضل هذه الإستراتيجية أن تنال موافقة سلطات الاحتلال لتأسيسها وممارسة نشاطها، وهذا ما أكده أبو القاسم سعد الله حيث يقول:" لقد سمحت فرنسا لمجموعة من العلماء بتكوين جمعية دينية تهذيبية لا دخل لها في السياسة أو نقابة دينية إذا صح التعبير، فإذا بها تتحول إلى مؤسسة تهدد النظام القائم وتعمل على بعث شخصية الجزائر الضائعة، وتضع لذلك ثوابت ما تزال على كل لسان وهي الجزائر- الإسلام- العربية" (القاسم، تاريخ الجزائر الثقافي، ج 4، 1996، ص 143) .

رأى عبد الحميد ابن باديس أن الاهتمام بالدين الإسلامي في مشرعه الفكري والإصلاحي يُمكنه من تحقيق ثلاثة أهداف رئيسية من شأنها الحفاظ على هوية المجتمع الجزائر هي: الهدف الأول هو أن الحفاظ على الدين الإسلامي يساهم في القضاء على مختلف مخططات الاحتلال الفرنسي التي كانت تهدف لبث صفوف الفرقة والاختلاف بين الفئات الاجتماعية داخل المجتمع الجزائري الواحد عبر انتهاج "سياسة فرق تسد"، وبث مسائل متعلقة بالهوية كان الجزائريين لا يحسبون لها أي حساب قبل مجيء الفرنسيين ومنها مسألة محاولة بث الخلاف بين الاثنيات العرقية أو الطائفية .

كما أكد عبد الحميد ابن باديس في مختلف المناسبات والمستويات أن العرب والأمازيغ أصبحوا مزيجاً واحداً بفضل الدين الإسلامي الذي جمعهم وبهذا الامتزاج بنى العرب والأمازيغ جنبا إلى جنب صرح الحضارة الإسلامية على قدم المساواة دون تفرقة أو تمييز

حيث يقول: " ليس تَكَوُّن الأمة يتوقف على اتحاد دمها ولكنه متوقف على اتحاد قلوبها وأرواحها وعقولها" (الميلي، 2007، ص 48) والقلوب والأرواح وحتى العقول يقصد بها الدين الإسلامي كون التدين مرتبط بالجانب الروحي، ويقول في موضع آخر " إن أبناء يعرب وأبناء مازيغ قد جمع بينهم الإسلام منذ بضعة عشر قرنا، ثم دأبت تلك القرون تمزج بينهم في الشدة والرخاء وتؤلف بينهم في العسر واليسر وتوحدهم في السراء والضراء، حتى كونت منهم خلال أحقاب بعيدة عنصراً مسلماً جزائرياً أمه الجزائر وأبوه الإسلام" (البشير، 2016، ص 109) وإذا عرف الجزائريين دينهم وحافظوا عليها سيكونون بعيدين عن هذه الدعوات الهدامة والنعرات القبلية الجاهلية التي كانت فرنسا تحول بثها بينهم .

الهدف الثاني الذي يساهم في الحفاظ على هوية المجتمع الجزائري بفضل المحافظة على الدين الإسلامي وتعزيز حضوره حسب ابن باديس هو الوقوف في وجه مخططات السياسة الدينية الفرنسية التي تهدف لتنصير المجتمع الجزائري و القضاء على أهم مقوماته التي تشكله هويته الحضارية، حيث تصدى رفقة جماعته في الجمعية لسياسة التجنيس وذلك من خلال إصداره لفتوى توضح أن التخلي عن قانون الأحوال الشخصية يعتبر ارتداداً عن الدين الإسلامي وبالتالي يُحرم المتجنس من الصلاة عليه عند وفاته ومن دفنه في مقابر المسلمين، حيث أثارت هذه الفتوى الفزع في صفوف المتجنسين والاحتلال الفرنسي (بلاسي، 1990، ص 111) والملاحظ أن هدف فرنسا من سياسة التجنيس لم يكن خدمةً للجزائريين ولا حباً فيهم وإنما هدفها طمس مقومات هويتهم وإذابة هويتهم في البوتقة الفرنسية، لذلك لم يدخر ابن باديس وجمعيته جهداً في الوقوف بالمرصاد في وجه دعوة التجنيس ودعاتها، والحرص على دعوة الجزائريين من أجل اجتناب الوقوع في هذا المخطط الفرنسي الماكر وذلك بالاعتصام بالإسلام وتعزيز حضوره بينهم (زروقة، 1999، ص 138).

الهدف الثالث الذي يمكن تحقيقه للمجتمع الجزائري حسب عبد الحميد ابن باديس انطلاقا من محافظته على دينه الإسلامي وتعزيز حضوره هو تحقيق نهضة المجتمع الجزائري، وهنا تظهر حكمة هذا العَالِم الجليل حينما أدرك أن نهضة ومستقبل المجتمع الجزائري مرتبط بمدى محافظته على هويته، لأنه من المستحيل أن تستطيع الشعوب الانطلاق في بناء صرحها الحضاري من العدم، ولن تستطيع أن تملك نظرة مستقبلية

واضحة إن لم تتصالح مع ماضيه وحاضرها وتنطلق من تراثها الأصيل المتجذر في كيانها عبر مراحل الزمن المختلفة، وفي هذا الموضع يجمع عبد الحميد ابن باديس بين الماضي والحاضر والمستقبل، ومابين الأصالة والمعاصرة دون الإفراط في استخدام أي منهما على حساب الآخر.

في هذا الصدد يقول عبد الحميد ابن باديس في مقال نشر عام 1936م " نهضتنا نهضة بنيت على الدين أركانها، فكانت سلاماً على البشرية لا يخشاها – والله – النصراني لنصرانيته، ولا اليهودي ليهوديته، بل ولا المجوسي لمجوسيته، ولكن يجب - والله – أن يخشاها الظالم لظلمه، والدجال لدجله، والخائن لخيانته" (الميلي، 2007، ص 65) .

ختاماً لما سبق التطرق إليه نقول بأن الدين الإسلامي كان في فترة الاحتلال الفرنسي ولا يزال يعتبر من المقومات الأساسية لهوية المجتمع الجزائري لذلك ركزت فرنسا جهودها للقضاء عليه إلا أنها فشلت في ذلك بفضل تمسك المجتمع الجزائري به وتصدي علماء جمعية علماء المسلمين وغيرهم من الجزائريين للمخططات الفرنسية بمختلف الوسائل والطرق وعلى رأسهم عبد الحميد ابن باديس، واستطاع هذا الأخير بفضل إخلاصه لدينه ووطنه ومجتمعه أن يساهم بشكل كبير في الحفاظ وتعزيز هذا العنصر المهم في هوية المجتمع الجزائري .

2 – الحفاظ على مكانة اللغة العربية وتعزيز وجودها وحضورها بين أفراد المجتمع الجزائري

اللغة ليست أداة تواصل بين أفراد المجتمع فقط وإنما تعبر عن هوية المجتمع وأصالته وامتداده التاريخي وهي من المقومات الرئيسية التي تُشكل منها هوية المجتمعات وبها تبني تلك المجتمعات صرحها الحضاري، وبها تستطيع التوفيق بين السير في طريق المعاصرة دون الوقوع في آفة الانسلاخ عن أصالتها وعمقها الهوياتي، لأن هذه اللغة تبقى رغم كل التغيرات في الأزمان والتبدل في الأجيال تحفظ تراث وتاريخ ذلك المجتمع، والمجتمع الجزائري كغيره من المجتمعات تعتبر فيه اللغة العربية من بين المقومات الرئيسية لهويته ورمز من رموز حضاريته وعمقه التاريخي، وهذه القيمة الكبيرة للغة العربية لم تأتي من باب المجاملة كونها لغتنا الأم التي نتواصل بها ونتعامل بها، وإنما بحق وحقيقة هي لغة راقية يشهد لها البعيد والقريب بأصالتها وسعة مفرداتها وقدرتها على صياغة أي مشروع حضاري لأي أمة

من الأمم، وهذا ما تَحَقَقَ تاريخياً في العصور الذهبية الأولى للإسلام وخاصة في عهد الخلافة العباسية والأمر الثاني الذي يرفع من قيمتها هي أن اللغة العربية لغة الدين الإسلامي، لغة القرآن، ومادام الإسلام عزيز في نفوس المجتمع الجزائري فإن اللغة العربية كذلك، ومادام فيهم الإسلام قائم بين ظهرانيهم كذلك اللغة العربية تبقى قائمة .

أما عن تاريخ تواجد اللغة العربية في أرض الجزائر ومكانتها بين أفراد المجتمع فقد وصلت إلى منطقة الشمال الإفريقي وتعزز مكانتها مع وجود الإسلام في هذه المنطقة، وظَّل المجتمع الجزائري محافظاً عليها بحفاظه على إسلامه وهو ما يؤكده صديق ورفيق درب عبد الحميد ابن بايس الشيخ البشير الإبراهيمي حيث يقول:" اللغة العربية في القطر الجزائري ليست غريبة ولا دخيلة بل هي في دارها وبين حماتها وأنصارها وهي ممتدة الجذور مع الماضي، مشتدة الأواخي مع الحاضر، طويلة الأفنان في المستقبل، لأنها دخلت هذا الوطن مع الإسلام على ألسنة الفاتحين ترحل برحيلهم، وتبقى بإقامتهم، فلما أقام الإسلام بهذا الشمال الإفريقي إقامة الأبد، وضرب بجراته فيه أقامت معه العربية لا تريم ولا تبرح مادام الإسلام مقيماً لا يتزحزح، فما مضى عليها جيل أو جيلان حتى اتسعت دائرتها وخالطت الحواس والشواعر وجاوزت الإبانة عن الدين إلى الإبانة عن الدنيا، فأصبحت لغة دين ودنيا معاً، وجاء دور القلم والتدوين فدونت بها علوم الإسلام وآدابه وفلسفته وروحانيته "(سالم، 1999، ص ص 26 27) .

بقي المجتمع الجزائري محافظاً على لغته العربية إلى غاية دخول المحتل الفرنسي أرض الجزائر أين وجد الجزائريين يدينون بالإسلام ويتكلمون ويتعاملون باللغة العربية فعز في نفسه ذلك، فعمل جاهداً في سبيل القضاء على اللغة العربية وذلك بسن قانون يجعل اللغة الفرنسية هي اللغة الرسمية في البلاد وحدها وجعلها لغة التعليم ابتداءً من روضة الأطفال إلى الصفوف العالية في الجامعة، كما جعل اللغة الفرنسية هي لغة المعاملة العامة (الورثلاني، 2009، ص 98) وفي مقابل العمل على توسيع تواجد اللغة الفرنسية في وسط المجتمع الجزائري عملوا على إهمال اللغة العربية ومحاصرتها في التعليم والإدارة حيث أغلقت سلطات الاحتلال المكاتب القرآنية ومكاتب التعليم الديني العربي، وامتنعت عن منح الرخص ببناء المدارس التي تعلم بالعربية، ولما رأت إصرار المعلمين على تعليمها

انتهجت سياسة قائمة على التهديد والتخويف وسنت في سبيل ذلك القوانين الزجرية والتهددية (الميلي، 2007، ص 150) .

وفي إطار محاربة اللغة العربية ومحاصرتها عمل المحتل الفرنسي على تشجيع اللهجات المحلية والتخاطب والمحادثة بها، وصرف البحوث والدراسات لبحث خصائص تلك اللهجات وميزاتها، وشكك في المقابل في أصالة اللغة العربية ومدى تناسبها مع طبيعة المجتمع الجزائري (الميلي، 2007، ص 320) فهل كان هدف المحتل الفرنسي من هذا الإجراء خدمة المجتمع الجزائري؟ كلا – والله- لقد كان الهدف الحقيقي من وراء تلك الجهود هو بث الفرقة والاختلاف بين أفراد المجتمع الجزائري الواحد عن طريق تشجيع تلك اللهجات لمحاصرة اللغة العربية ومحاولة خلق شرخ في هوية هذا المجتمع في أحد أهم رموز هويته وهو اللغة العربية، ولو كان المحتل الفرنسي حقيقة حريص على خدمة المجتمع الجزائري لما ارتكب كل المجازر الهمجية التي استهدفت المجتمع الجزائري على كافة المستويات منذ أن وطئت أقدامه أرض الجزائر.

أدرك المجتمع الجزائري المخططات الفرنسية التي تستهدف لغته وفي طليعتهم العلماء باعتبار أنهم نخبة المجتمع، والمصابيح التي تنير درب طريقه، وصمام الأمان الذي يحفظ هويته، ويكشف كل ما يُحاك ضد مجتمعه من مؤامرات ودسائس، كان من بين هؤلاء العلامة عبد الحميد ابن باديس الذي نبه الجزائريين إلى المؤامرة الفرنسية التي تستهدف اللغة العربية لغة الإسلام والقرآن مؤكداً عقده العزم على كشف ومقاومة هذه المخططات في سبيل الحفاظ على هذه اللغة، والحرص على تعليمها وانتشارها رغم ما يصيبه ويصيب الجمعية من مخاطر مهما كلفهم الأمر، متيقناً أن الإسلام واللغة العربية قضى الله بخلودهما ولو اجتمع كلهم على محاربتهما (الميلي، 2007، ص ص 151 152) .

دعا عبد الحميد ابن باديس وجمعية العلماء المسلمين الجزائريين الذي كان رئيساً عليها الجزائريين إلى التعلم باللغة العربية معتبرين ذلك من الحقوق الأساسية للأمة الجزائرية، وأن من حقها أن تكون لغةً رسمية شأنها شأن اللغة الفرنسية، وأن تُكتب بها مع الفرنسية كافة المناشير الرسمية، وتعطى الحرية في تعليمها في المدارس الحرة مثلما تمنح للغة الفرنسية هذه التسهيلات (الدين، 1985، ص 334) وفي سبيل الحفاظ على اللغة العربية

عمل على إنشاء المدارس في طول الجزائر وعرضها، في مدنها وقراها، وجبالها وصحاريها وسهولها ووديانها، وحرص على أن يكون التعليم في هذه المدارس باللغة العربية ويشترط في تدريسها تطبيق قواعدها على الكلام الفصيح لتحصيل الملكة وأما قراءتها بلا تطبيق فإنه يؤدي إلى ضياعها وقلة التحصيل فيها (سالم، 1999، ص- ص 190- 101) لذلك كان من بين أهدافه رفقة أعضاء الجمعية الحفاظ على طبيعة اللسان الجزائري المسلم وتقويم ما اعوج منه (البشير، 2016، ص 110) والهدف من كل هذه الجهود الحفاظ على اللغة العربية وتعزيز مكانتها .

كان عبد الحميد ابن باديس يؤكد بين طلابه وفي كل المناسبات العلمية والثقافية المتاحة أن اللغة العربية ستبقى لغة الجزائريين ورمز هويتهم ومصدر عزهم، وأن كل المحاولات الرامية للقضاء عليها ستفشل بكل تأكيد حيث يقول: " إن كل محاولة لحمل الجزائريين على ترك جنسيتهم أو لغتهم أو دينهم أو تاريخهم أو أي شيء من مقوماتهم، هي محاولة فاشلة، مقضي عليها بالخيبة" (هرنون، 2018، ص 10) وعن النتائج الطيبة التي حققتها جهود علماء الجزائر في سبيل الحفاظ على اللغة العربية في المجتمع الجزائري يقول ابن باديس" حُوربت فيكم العروبة حتى ظُن أنه قد مات منكم عرقها، ومُسخ فيكم نطقها فجئتم بعد قرن تصدح بلابلكم بأشعارها، فتثير الشعور والمشاعر، وتهدر خطباؤُكم بشقاشقها، فتدكُ الحصونَ والمعاقلَ، وتهز كتابكم أقلامها، فتصيب الكلى والمفاصل" (بوزون، 2019، ص 33) .

ختاماً لما سبق التطرق إليه في هذه الجزئية نقول بأن اللغة العربية تعتبر من المقومات الرئيسية للمجتمع الجزائري على مر تاريخه، كونها تُعبر عن بعده الحضاري وانتمائه للحضارة العربية الإسلامية، لذلك عمل الاحتلال الفرنسي على محاربتها لعزل المجتمع الجزائري عن محيطه العربي الإسلامي وصهره في البوتقة الثقافية الفرنسية والأوروبية على حدا سواء، إلا أن جهود الجزائريين عامة والعلماء خاصة على رأسهم عبد الحميد ابن باديس ساهمت في الحفاظ على وجود اللغة العربية رمز الهوية والأصالة الجزائرية وبتمسكه بها بقي محافظاً على هويته ورافضاً التخلي عنها.

3 - تعزيز فكرة الوطنية (الوطن الجزائري) والتمسك بالانتماء للأرض

منذ أن وطئت أقدام المحتل الفرنسي أرض الوطن الجزائري جعل نصب عينيه قضية مهمة وهي القضاء على فكرة الوطنية في نفوس أفراد المجتمع الجزائري، وذلك بالقضاء على المقومات الرئيسية التي تشكل مفهوم الوطن، فبعد أن سيطر على الأرض وعمل على محاربة باقي رموز هويته التي تساهم في الحفاظ على مفهوم الوطن والانتماء للأرض في نفسه والتي أهمها الدين الإسلامي واللغة العربية، سعى لاستبدال فكرة الوطن والجزائري بمفهوم المقاطعة الجزائرية التابعة لفرنسا والجزء الذي لا يتجزأ عنها، وكي نكون منصفين للتاريخ تأثرت قلة قليلة من الجزائريين بهذه الفكرة نتيجة تأثرهم بالثقافة الفرنسية التي عمل المحتل الفرنسي على نشرها بمختلف الوسائل وخصوصاً في المؤسسات التعليمية الموجهة لاستمالة النشء، إلا أن غالبية المجتمع الجزائري ظَّل محافظاً على هذا الانتماء رغم سياسة القهر والمكر التي مُورست ضده بهدف سلخ هذا المفهوم من أدبيات تفكيره، وهو ما تجسده مختلف المقاومات الشعبية الرافضة للوجود الفرنسي على أرضه والمؤمنة بالوطن الجزائري وبالأمة الجزائرية التي يحق لها أن تعيش حرة مستقلة مثل باقي الأمم الأخرى.

من بين الممارسات والأساليب التي انتهجتها فرنسا للقضاء على مفهوم الشخصية الوطنية الجزائرية سياسة منح الجنسية الفرنسية للجزائريين بحجة أنه لامناص لهم في الحصول على حقوقهم السياسية والاجتماعية التي يتمتع بها المتفرنسون إلا بالتجنس بالجنسية الفرنسية، وقد عقد بعض من غُرر بهم والبعض من ضعاف النفوس اجتماعاً أوائل ذي الحجة 1353هـ/ أفريل 1934م يُطالبون فيه السلطات الفرنسية بتسهيل التجنيس لزيادة عدد المتجنسين (مطبقاني، 1999، ص 78) ترى هل كان هدف فرنسا من منح الجنسية الفرنسية للجزائريين هو حبهم والحرص على مصلحتهم؟ كلا لقد كان الهدف الرئيسي من التجنيس هو القضاء على فكرة الوطن الجزائري في نفوس الجزائريين إذْ أنه بمجرد قبول الفرد الجزائري للجنسية الفرنسية هذا معناه أن وافق على أن يصبح مواطناً فرنسياً ولو من الدرجة الثانية يلهج بفرنسا الوطن الأم، ويتنكر لنضال أجداده ولكل المقاومات التي خاضها الجزائريون في سبيل الوطن الجزائري.

أدرك عبد الحميد ابن باديس مخططات فرنسا من هذه السياسة التي تستهدف أحد الثوابت المهمة في هوية المجتمع الجزائري فأصدر فتوى تحرم التجنيس وأنكر على الجزائريين هذا الأمر، كما انتقد الموظفين الذين يسيرون في هذا التوجه (بلاسي، 1990، ص 85) مؤكداً على ضرورة الحفاظ على الشخصية الوطنية للأمة الجزائرية حيث يقول: "اننا فتشنا في صحف التاريخ وفتشنا في الحالة الحاضرة فوجدنا الأمة الجزائرية المسلمة متكونة موجودة كما تكونت ووجدت كل أمم الدنيا، ولهذه الأمة تاريخها الحافل بجلائل الأعمال، ولها وحدتها الدينية واللغوية ولها ثقافتها الخاصة وعوائدها وأخلاقها بما فيها من حسن وقبيح شأن كل أمة في الدنيا، ثم إن هذه الأمة الجزائرية الإسلامية ليست هي فرنسا ولا يمكن أن تكون فرنسا، ولا تريد أن تصير فرنسا ولا تستطيع أن تكون فرنسا ولو أرادت، بل هي أمة بعيدة عن فرنسا كل البعد في لغتها وفي أخلاقها وفي عنصرها وفي دينها" (هرنون، 2018، ص 12) .

ويقول في موضع آخر وهو نص ورد في مجلة الشهاب "نحن الأمة الجزائرية لنا جميع المقومات والمميزات لجنسيتنا القومية، وقد دلت تجارب الزمان والأحوال على أن من أشد الناس محافظة على هذه الجنسية القومية واننا ما زدنا على الزمان إلا قوة فيها وتشبثا بأهدابها وأنه من المستحيل إضعافنا فيها فضلا عن إدماجنا أو محونا" (هرنون، 2018، ص 6) وعن الوطن الجزائري يقول: "ولها وطن محدود معين، هو الوطن الجزائري، بحدوده الحالية المعروفة" (زروقة، 1999، ص 147)وهي دعوة صريحة موجهة ضد فرنسا ومن سار في فلكها أن الجزائر وطن له تاريخ ضارب في القدم ومن حق الجزائريين الاستقلال وبناء دولتهم الوطنية، وهذا تصريح ضمني منه يفهمه أولي العقول كونه كان يرفض الدخول في مواجهة مباشرة مع السلطات الفرنسية كي لا توقفه عن ممارسة نشاطه الإصلاحي .

لقد آمن عبد الحميد ابن باديس بالوطن الجزائري وبالأمة الجزائرية ودافع عنه في كتاباته ومقالته وفي مختلف الأنشطة التي قام بها، لم يقتصر حبه لوطنه على إيمانه به فقط والعمل على خدمته وإنما كثف جهوده لبث روح الوطنية في صفوف المجتمع الجزائري ويظهر ذلك في كل ما كان يكتبه حول هذا الأمر وآثاره التي خلفها شاهدة على ذلك

حيث يقول في تعريفه للوطني " الوطني الصميم من لا تلهيه المنافع المؤقتة الزائلة عن المنافع الآجلة الباقية، ويعزو إلى ماضيه وحاضره مالهما وما عليهما كما يعزو إلى ماضي غيره وحاضره مالهما وما عليهما، ومع تكييف فكره تكيفاً مناسب للظروف في غير تفريط ولا إفراط" (الميلي، 2007، ص 49) .

لقد كانت الصحافة من الوسائل المهمة التي اعتمدها عبد الحميد ابن باديس في بث الروح الوطنية في صفوف المجتمع الجزائري وتعميق وتعزيز انتمائه لأرض أجداده وقد استهل دخول عالم الصحافة بقوله "باسم الله، ثم باسم الحق والوطن ندخل عالم الصحافة العظيم...وإعانة إخواننا الصادقين في خدمة الدين والوطن" (الميلي، 2007، ص 159) لقد صرح ابن باديس على هدفه من دخول عالم الصحافة وهو مجال يعتبر من المجالات المؤثرة بدرجة كبيرة في نفوس المجتمعات، صرح بأن هدفه خدمة الدين الإسلامي ثم الوطن، نعم لم يكن عبد الحميد ابن باديس من محدودي المستوى حتى يستخدم مفهوم "الوطن" في غير محله أو اعتباطا بل كان يدرك يقينا ما معنى الوطن، ولا يشكك في وطنيته وجهوده في الدفاع عن مبدأ الوطنية والحفاظ عليها إلا جاحد أو قليل تبصر.

وفي سياق حبه لوطنه كان من بين شعاراته" الحق فوق كل أحد والوطن قبل كل شيء" وكان هذا الشعار شعار جريدة المنتقد تحمله في رأس كل عدد منها، ويقول أيضا " نحب من يحب وطننا ويخدمه، ونبغض من يبغضه ويظلمه، فلهذا نبذل غاية الجهد في خدمة وطننا الجزائري وتحبيب بنيه فيه، ونُخْلِصُ لكل من يُخْلِصُ له، ونناوئ كل من يناوؤه، من بينيه ومن غير بنيه" (الميلي، 2007، ص 160) وهنا يظهر عبد الحميد ابن باديس مدى حبه الكبير لوطنه لدرجة أنه علق محبته للآخرين بمدى حبهم لوطنه الجزائر في مقابل بغض كل من يبغض وطنه، كما أشار إلى أنه يحب وطنه ويعمل على نشر حب الوطنية بين أبناء الجزائر حينما ذكر و"تحبيب بنيه فيه".

يعبر عبد الحميد ابن باديس عن فكرة الوطنية وواجبه اتجاه وطنه في مقال نشر 1937م تحت عنوان " لمن أعيش" ويجيب عن هذا السؤال "أعيش للإسلام والجزائر" وكان مما ذكره في هذا المقال" أما الجزائر فهي وطني الخاص الذي تربطني بأهله روابط من الماضي والحاضر والمستقبل بوجه خاص، وتفرض على تلك الروابط لأجله كجزء منه

فروضا خاصة، وأنا أشعر بأن كل مقوماتي الشخصية مستمدة منه مباشرة...هذا الاتصال المباشر أجده بيني وبين وطني الخاص في كل حال وفي جميع الأعمال، وأن كل ابن وطن يعمل لوطنيته لابد أن يجد نفسه مع وطنه الخاص في مثل هذه مباشرة" (الميلي، 2007، ص 66) وهنا يبين مدى عمق وأصالة الوطن الجزائري في الماضي والحاضر والمستقبل، ويؤكد في نفس الوقت أن خدمة الوطن هي فرض وواجب على كل وطني مخلص لوطنه، وأن خدمة وطنه الخاص أولى وأسبق من أي خدمة لمصلحة أوطان أخرى.

لا يعني فكر عبد الحميد ابن باديس الداعي لخدمة الوطن الجزائري قبل أي وطن آخر التنكر للامتداد الحضاري العربي الإسلامي الموجود في الأوطان الأخرى وإنما يرى أن خدمة الوطن الجزائري الخاص هو في حد ذاته خدمة للأمة الإسلامية حيث يقول:" نعلم أن لنا وراء هذا الوطن الخاص أوطاناً أخرى عزيزة علينا هي دائما على بال ونحن نعمل فيما نعمل لوطننا الخاص، نعتقد أنه لابد أن تكون قد خدمناها وأوصلنا إليها النفع والخير وهي طريق خدمتنا لوطننا الخاص"، وتعزيزاً لفكرة الوطنية بين صفوف أبنائه الوطن الواحد يدعو عبد الحميد ابن باديس جميع فئات المجتمع الجزائري إلى ترك الخلاف وجمع الشمل إذ يقول:" أما موقف الجمعية مع خصومها فإنها تعلم أن الأمة اليوم تختار طوراً من أشق أطوارها وأخطرها، فهي تتناسى كل خصومة وتعمل على جمع الكلمة، وتوحيد الوجهة" (الميلي، 2007، ص ص 56 65) .

لقد انطلق عبد الحميد ابن باديس من هذا المبدأ الراسخ في وجدانه وهو حب الوطن الجزائري وخدمته و نشر هذا المبدأ بكل الوسائل المتاحة من صحف ومجلات، وفي خطب المساجد ومختلف حِلَق العلم التي كانت تجمعه مع طلابه، وكان من بين أهم الوسائل التي نشر بها هذا المبدأ وأكثر خصوبةً لقبول أفكاره هي المدارس التعليمية التي أسستها الجمعية والتي استهدف فيها النشء، حيث كان هدفه من خلال هذه الفئة تكوين جيل يؤمن بالوطن الجزائري ويضحي بكل غالي ونفيس في سبيل الحفاظ على هذا الوطن والسعي لتحريره من المحتل الفرنسي، وقد جنى الوطن الجزائري ثمار هذا النظرة الاستشرافية بعد وفاة عبد الحميد ابن باديس رحمه الله، حيث كان أبناء الجزائر الذي تربوا على أفكار عبد الحميد ابن باديس وتغذوا منها مبادئ الروح الوطنية والتضحية في سبيل خدمة الوطن الجزائري،

فكانوا مصابيح تنير درب الجزائريين، ومحاربين في الصفوف الأولى في معركة الحفاظ على الهوية، وقادة وجنود في الصفوف الأولى لثورة أول نوفمبر المباركة.

اعترف العديد من رجال القلم والفكر بجهود عبد الحميد ابن باديس في سبيل حب الوطن والدفاع عنه ومنهم الكاتب الفرنسي Jean Lacouture الذي أكد بأن العلماء وعلى رأسهم عبد الحميد ابن باديس كانت لهم جهود كبيرة في نشر فكرة الوطن الجزائري بين أفراد المجتمع الجزائري (بلاسي، 1990، ص 97) ويقول الدكتور محمود قاسم وهو معاصر لابن باديس" وقد استطاع بصادق فطرته وإخلاصه أن يهتدي إلى السلاح الناجع الذي حطم به أسطورة الجزائر الفرنسية، تلك الأسطورة التي حاولت فرنسا فرضها على الجزائريين، وقد نجحت في أن تجر إليها نفراً من السياسين المحترفين (مطبقاني، 1999، ص 152) وهو يقصد في هذا الموضع سياسة الإدماج التي وافق عليها بعض ضعاف النفوس، وعلى كل حال فإن هذه بعض النماذج من الآراء التي ثمنت جهود ابن باديس على سبيل المثال لا الحصر، والمطلع على كتب التاريخ يجدها مليئة بشهادات من عاصروه أو كانوا قريبين منه يثمنون جهوده ويعترفون له بالجميل الذي قدمه خدمة للجزائر.

ختاماً لما سبق التطرق إليه في هذه الجزئية نؤكد على أن عبد الحميد ابن باديس بذل جهوداً كبيرة في الدفاع عن فكرة الوطن الجزائري -الأرض والأمة- التي يجب أن تكون مستقلة مثلها مثل الأمة الفرنسية والأمم الأخرى، أحب وطنه بإخلاص وخدمه بإخلاص وبذل كل غالي ونفيس في سبيل نشر حب الوطن وتعزيز الشعور بالانتماء لهذا الوطن بين أفراد المجتمع الجزائري، صامداً أمام كل المخاطر والمضايقات التي مُورست ضده من طرف سلطات المحتل الفرنسي، حيث أثر في المجتمع الجزائري على مستويين: المستوى الأول أنه كان نموذج وقدوة للوطني المخلص لوطنه في نظر الجزائريين لذلك اقتدى به الكثير وسار على نهجه، والمستوى الثاني عن طريق جهوده المبذولة في سبيل نشر حب الوطن وخدمته بين أفراد المجتمع الجزائري.

خاتمة

يعتبر عبد الحميد ابن باديس من العلماء الكبار الذي بذلوا جهود كبيرة في سبيل الحفاظ على المقومات الرئيسية المشكلة لهوية المجتمع الجزائري وهي الدين الإسلامي

واللغة العربية، والوطن الجزائري، حيث تركزت جهوده في هذه العناصر المهمة التي لا غنى للشخصية الجزائرية عنها، وقف صامداً فطناً لكل المخططات الفرنسية التي تستهدف هوية المجتمع الجزائري لأجل محو شخصيته وصهرها في البوتقة الفرنسية، وقد استطاع بفضل تلك الجهود الحفاظ على هويته طيلة الفترة التي عاشها في الجزائر، وحتى بعد وفاته رحم الله كانت آثاره وكتاباته دليلاً يستقي منه الجزائريين الدروس والعبر والمبادئ الراسخة الصادقة اتجاه الأمة الجزائرية والأرض الجزائرية .

وقد توصلنا انطلاقا من بحثنا إلى النتائج التالية:

- يعتبر الدين الإسلامي واللغة العربية و الوطن الجزائري أو الانتماء للأرض من المقومات الرئيسية للهوية الجزائرية التي لا غنى للجزائريين عنها.

- الحفاظ على الهوية هو حفاظ على أصالة الأمة الجزائرية وحاضرها ومستقبلها، وعزها وتطورها مرتبط كذلك بمدى محافظتها على مقومات هويتها.

- ظل المجتمع الجزائري محافظاً على كيانه طيلة فترة الاحتلال الفرنسي الطويلة بفضل تمسكه بمقومات هويته، وهو ما يعنى أن التمسك بهذه المقومات من شأنه الحفاظ على الشخصية الجزائرية مهما واجهتها التحديات في الحاضر والمستقبل.

- كان هدف عبد الحميد ابن باديس من جهوده التي بذلها في سبيل الحفاظ على الهوية هو جمع شمل جميع فئات المجتمع الجزائري دون أي تمييز أو إقصاء لأي فئة من الفئات، وإنما كان عداؤه كما ذكر بنفسه لكل من يعادي الوطن أو يخونه أو يخذله.

- كان عبد الحميد ابن باديس عالم رباني له باع كبير في العلوم، وهذه المؤهلات والميزات جعلته أكبر من أن يقع في فخ مخططات الاحتلال الفرنسي فيما يتعلق بقضايا هوية المجتمع الجزائري، فقد كان أكبر من تلك الدعوات الهدامة التي تفرق المجتمع الجزائري أكثر مما تجمعه، وكان العامل الذي يجمع حسبه بين كل فئات المجتمع الجزائري هو الدين الإسلامي ولغته والوطن أو الأرض الجزائرية التي عاش على ظهرها الأجداد وضحوا لأجلها.

ومن التوصيات التي تولدت عن بحثنا هذا نوصي بضرورة عقد المزيد من الملتقيات العلمية التي تسلط الضوء على فكر عبد الحميد ابن باديس في جميع المجالات، والاستفادة من تجاربه النضالية في سبيل الحفاظ على الهوية الجزائرية وتعزيز الصلة بين مختلف أفراد المجتمع الجزائري الواحد.

قائمة المراجع

- أحمد محمود الجزار. (1999). الإمام المجدد ابن باديس والتصوف. الإسكندرية: منشأة المعارف.
- الفضيل الورثلاني. (2009). الجزائر الثائرة. الجزائر: دار الهدى.
- بوقاعدة البشير. (2016). البعد التاريخي لشعار جمعية العلماء المسلمين الجزائريين الإسلام ديننا العربية لغتنا والجزائر وطننا. قضايا تاريخية ، 101- 118.
- سعد الله أبو القاسم. (1996). تاريخ الجزائر الثقافي.ج4، بيروت: دار الغرب الإسلامي.
- سعد الله أبو القاسم. (1998). تاريخ الجزائر الثقافي. ج 6، بيروت: دار الغرب الإسلامي.
- عبد الرحمان بوزون. (2019). إسهامات جمعية العلماء المسلمين في تعليم اللغة العربية وصون مكانتها. مجلة البحوث والدراسات ، 23- 38.
- عبد الرشيد زروقة. (1999). جهاد ابن باديس ضد الاستعمار الفرنسي في الجزائر (1930- 1940م). لبنان: دار الشهاب.
- مازن صلاح مطبقاني. (1999). عبد الحميد ابن باديس العالم الرباني والزعيم السياسي. دمشق: دار العلم.
- مالك ابن نبي. (1986). شروط النهضة. دمشق: دار الفكر.
- محمد الميلي. (2007). ابن باديس وعروبة الجزائر. الجزائر.

- محمد بهي الدين سالم. (1999). ابن باديس فارس الاصلاح والتنوير. القاهرة: دار الشروق.
- محمد خير الدين. (1985). مذكرات الشيخ محمد خير الدين. الجزائر: مطبعة دحلب.
- نبيل أحمد بلاسي. (1990). الاتجاه العربي والإسلامي ودوره في تحرير الجزائر. مصر: الهيئة العامة لمكتبة الإسكندرية.
- نصيرة هرنون. (2018). المشروع الإصلاحي عند عبد الحميد ابن باديس. مجلة العلوم الإنسانية والاجتماعية ، 1- 16.